جدلية الأنا والآخر
في رواية "رأيت رام الله" لمريد البرغوثى

الدكتورة سيدة اكرم رخشنده نيا
استاذة مساعدة بجامعة كيلان – إيران
rakhshandeh1982@yahoo.com

الملخص

يُعَدّ مريد البرغوثى من الروائيين الفلسطينيين الذين عاشوا خارج الفلسطين والذي كان محروما من العودة إلى بلاده حوالى ثلاثين سنة وهو فى روايته "رأيت رام الله" التى تعتبر سيرة ذاتية للكاتب يصور الذات الفلسطينية فى صراعها مع الآخر الاسرائيلي ولكل من الذات والآخر خصائصهما. الرواية تهتم بالذات الفلسطينى (الأنا) بوصفها أحد جانبى الصراع والاسرائيلى (الآخر) الذى يقوم بالاحتلال والعنف والقهر ضد الذات وهنا علاقة جدلية بين الذات والآخر ومن أجل هذه الذات تسعى إلى معرفة الآخر وكشف مواصفاته وماهيته. فهذا المقال يحاول دراسة صورة الفلسطيني والاسرائيلي فى ضوء جدلية الذات والآخرمستفيدا من المنهج الوصفى– التحليلى. ومن نتائج هذه الدراسة أن الكاتب يهتم بالذات أكثر من الآخر ويصف الحقيقة الوجودية فى الذات الفلسطينى سلبية أو ايجابية ولا يهتم بالآخر إلا بكونه محتلا ومستعمرا .

الكلمات المفتاحية: الذات، الآخر، الفلسطينى، الاسرائيلى، مريد البرغوثى، رأيت رام الله

المقدمة :

تتماز الرواية العربية منذ ظهورها في أواسط القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا بتجسيد ثنائية الأنا والآخر عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة سواء أكانت سلبية أم إيجابية تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب، وثنائية الذكورة والأنوثة، وثنائية التقدم والتخلف، وثنائية العلم والجهل، وثنائية المادة والروح... ومن بين هذه الرؤى النمطية نذكر ما يلي: الرؤيـة الانبهاريـة؛ نعني بالرؤية الانبهارية تلك النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب والانبهار بحضارة الغرب، والافتتان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتقنيات والمعارف والآداب[١]، و تعبر عن موقف إعجاب الذات بالآخرو ربما الحماسة لإقامة العلاقة معه[٢]، وغالبا ما تكون تلك النظرة في البداية فطرية ساذجة أو نظرة واعية نسبيا ما بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب أو بين المكان الأصل ومكان الغواية والجذب والافتتان، وذلك بسبب صدمة الحداثة أو صدمة الاستعمار، والتي تفرز بشكل جلي التناقضات الهائلة

والتباين الشاسع والهوة الفاصلة بين عقلية متخلفة وعقلية متقدمة [٣]. الرؤيـة الحضاريـة؛ بعد الرؤية الانبهارية بتفوق الغرب، والاعتراف بتقدمه علميا وفنيا وتقنيا في المرحلة الأولى من فترات القرن التاسع عشر الميلادي، نجد رؤية أخرى ستتشكل روائيا وفنيا وإبداعيا في العقود الأولى من القرن العشرين، وذلك مع جيل من الكتاب الذين سافروا إلى الخارج لطلب العلم كطه حسين، وتوفيق الحكيم، ويحيي حقي، ويوسف إدريبس، وسهيل إدريس...وآخرين. بيد أنهم لم ينبهروا بالغرب إلى درجة السذاجة السطحية والاستغراب الخارق الفاتن، بل تنبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وعلميا وثقافيا وفنيا، ولكنهم تنبهوا أيضا إلى قيمة الشرق، وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية، والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته[٤]. فتستند هذه الرؤية على وضع الآخرموضع الوسطية و الاعتدال[٥] موقف الحياد من الآخر مع الاستجابة المشروطة له"[٦]. الرؤيـة السياسيـة والحقوقيـة؛ نقصد بالرؤية السياسية والحقوقية تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور، ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا ومدنيا وعسكريا وحزبيا ونقابيا، وتشخيص الحالة السياسية للدولة، وتبيان وضعية الحريات العامة والخاصة وحقوق الإنسان[٧]. الرؤيـة العدوانيـة ويقصد بالرؤية العدوانية اعتبار الآخر عدوا للأنا بكل ما يحمله من فكر وثقافة وسياسية[٨]، لا سيما بعد مرحلة العدوان الاستعمارى للغرب و إسرائيل على المناطق العربية، إذا أصبح الآخر العدو المستعمر، المستبد، المغتصب، الى جانب الصورة المعهودة منذ المواجهة بين العالمين المسيحى والاسلامى، والتى تصف الآخر بالكفر والفساد والانحلال الخلقى.[٩] وتستند الرؤية العدوانية إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات. وبالتالي، فالغير يحاول تغريب الذات وإقصاءها وتهميشها، مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها. فيصبح الغير هنا جحيما لا يطاق. لذا، تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي. وهذه النظرة العدائية السلبية غالبا ما تفرز حسب هيجل في حالة انتصار أحد منهما إلى ظهور ما يسمى بجدلية السيد والعبد .وعليه، فالعلاقة بين الأنا والآخر لا تكون دائما علاقة إيجابية قائمة على الأخوة والمحبة والصداقة والتعايش، بل قد تكون علاقة سلبية قائمة على الكراهية [١٠]. وإذا كان ما يهمنا هنا، في هذه الدراسة، هو موضوع الآخر. فإنّ هذا الكاتب العربي أظهر عبقرية فائقة في فهم الـ"أنا" في مفهومها الفردي وفي مفهومها الجمعي، الـ"نحن" مقابل الـ"هو / الآخر كذلك في مفهومه الفردي والجمعي. أي أنّ هذا الفهم الذي أظهره مريد البرغوثى لم يكن على مستوى الأنا / الفرد /مريد البرغوثى في مقابل الآخر الاسرائيلى، وإنما كان الأنا الجمعي / الفلسطينيين / المستعمَر في مقابل الآخر / الاسرائيلى/ المستعمِر، ثلاثة أسئلة في غاية الأهمية: ١" .من هو الأنا ومن هو الآخر؟" وذلك على مستوى التعريف العام للأنا

وللآخر" .2 .من هو الأنا وماذا يمثل في "رأيت رام الله"؟ تتبعا للأنا مقابل الآخر الاسرائيلى.
٣. "من هو الآخر وماذا يمثل في "رإيت رام الله"؟"

٢- من هو مريد البرغوثى؟

مريد البرغوثي شاعر فلسطيني ولد في 8يوليو/تموز 1944 في قرية دير غسانة قرب رام الله في الضفة الغربية تلقى تعليمه في مدرسة رام الله الثانوية[١١] وسافر إلى مصر العام 1963 حيث التحق بجامعة القاهرة وتخرج في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها العام 1967 وهو العام الذي احتلت فيه إسرائيل الضفة الغربية ومنعت الفلسطينيين الذين تصادف وجودهم خارج البلاد من العودة إليها [١٢]. وعن هذا الموضوع كتب مريد البرغوثي في كتابه الذائع الصيت رأيت رام الله" نجحت في الحصول على شهادة تخرّجي وفشلتُ في العثور على حائط أعلِّق عليه شهادتي" [١٣] ،ولم يتمكن من العودة إلى مدينته رام الله إلا بعد ذلك بثلاثين عاماً من التنقل بين المنافي العربية والأوروبية، وهي التجربة التي صاغها في سيرته الروائية تلك. تزوج من الروائية المصرية الراحلة رضوى عاشور أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس بالقاهرة ولهما ولد واحد هو الشاعر والأكاديمي تميم البرغوثي [١٤]. نشر ديوانه الأول عن *دار العودة* في بيروت عام 1972 بعنوان *الطوفان وإعادة التكوين* ونشر أحدث دواوينه عن *دار رياض الريس* في بيروت بعنوان *منتصف الليل* عام ٢٠٠٥. وأصدرت له المؤسسة العربية للدراسات والنشر *مجلّد الأعمال الشعرية* العام ١٩٩٧. لمريد البرغوثي ١٢ ديواناً شعرياً، وكتابان نثريّان وهما "رأيت رام الله" و "وُلِدْتُ هُناك،وُلِدْتُ هُنا".

٣- رواية رأيت رام الله

يحدثنا مريد البرغوثي عن أيامه القديمة في فلسطين ودير غسانة ورام الله.. عن سفره للدراسة، هذا الوطن الذي التهمت إسرائيل ما تبقى منه في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية وهضبة الجولان وصحراء سيناء.. عن الهزائم والنكبات بعد أن تجاوزته السنون عوضاً عن أن يتجاوزها هو.. يصف غربته خارج بلاده.. عن الأوضاع السياسية.. قرأت عن مشاعر مريد حين دخوله لرام الله وبلدته دير غسانة، تلك اليوميات التي تفيض ألماً واسترجاعاً لذكريات الطفولة، يستفز قدرتك على المقارنة واستذكار الماضي وربطه بالحاضر، على البحث عما في جعبتك من قواسم مشتركة مع ذكريات ويوميات مريد في "رأيت رام الله"، ففي داخل كل منا مريد، وكل منا مخزن للذكريات والآلام والروايات لأحداث ضاعت في زحمة الأحداث.

٤- من هو الأنا ومن هو الآخر؟

يُعدّ مفهوم " الأنا " من أكثر المفاهيم استعصاءً على البحث والتقصي من حيث هو: « مصطلح مراوغ يستعصي على التعريف والحدّ الإصطلاحي لأنّه يدخل في مشاركة كبيرة في

أغلب الفروع الإنسانية (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع ...) »[١٥]، ففي مجال الفلسفة يُعتبر "الأنا" بالمعنى التقريبي له "النفس"، إذ نجد ذلك عند كثير من الفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف "روني ديكارت"، الذي ربط بين الأنا فكرًا والأنا وجودًا بقوله: « أنا أفكر إذن أنا موجود»[١٦] .هذا وقد حمِل مصطلح "الأنا" في الفلسفة الحديثة عدّة معانٍ تتمثل فيما يأتي :

١- المعنى النفسي الاخلاقي: تشير كلمة "أنا" في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي إذن تُطلق على وجود تُنسب إليه جميع الأحوال الشعورية.[١٧]

٢- المعنى الوجودي: تدلّ كلمة "أنا" على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألّف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معاً أو متعاقبة فهو إذن مفارق للأحاسيس والعواطف والأفكار، لا يتبدّل بتبديلها، ولا يتغيّر بتغيّرها "فالأنا" إذن جوهر قائم بنفسه وهو صورة لا موضوع [١٨]

٣- المعنى المنطقي: تدلّ كلمة "أنا" على« المدرك من حيث أنّ وحدته وهوّيته شرطان ضروريان يتضمنهما التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصوّرات في الذهن و"الأنا" المتعالي هو الحقيقة الثابتة التي تُعدّ أساساً للأحوال والمتغيّرات النفسية»[١٩].

نستنتج ممّا قيل أنّ "الأنا " هو العنصر الثابت والغير هو المتغيّر الذي تنسب له جميع الأقوال الشعورية والأحاسيس والعواطف والأفكار، فهو حقيقة ثابتة قائمة بذاتها. لم يستقر مفهوم "الآخر" على تعريف واحد منذ نشأته بدايةً من الجذور اليونانية إلى غاية العصر الحديث وهذا لاختلاف الرؤى والأفكار الخاصة بكل مدرسة أو مذهب فلسفي « مصطلح الآخر في بداياته عند اليونانيين كان يعني كل ما ينتمي إلى هذه البيئة أو هو لفظ يطلق على غير اليوناني سواء كانوا في الشمال أي في العمق الأوروبي أو في قارتي إفريقيا وآسيا بهدف التمييز بين اليوناني المتحضّر وغيره المتخلّف» [٢٠]. فإذن الآخر هو غير الأنا، ومثل هذه الغيرية تقتضي أن تنقسم الإنسانية إلى قسمين أو مجموعتين :إحداهما هي التي تملك القواعد والمعايير والقيم ذات القيمة والتي يجب أن تسود، وتملك كذلك الهوية ذات القيمة، بينما الأخرى التي تُعرف أو تعرّف بعيوبها ونواقصها حيث تكون عرضة للتمييز (العنصري مثلا) على أساس العرق واللون وغيرهما، فينظر إلى أفراد تلك المجموعة على أنهم برابرة متوحشون مما يحط من قيمتهم وما يعطي للآخر، القوي، المستعلي، "الحق" في السيطرة عليهم أو إبادتهم أو دفعهم إلى هامش الانسانية. وفي هذه الحالة تشكل المجموعات الغربية الكولونيالية نموذجا للطرف القادر على فرض مقولاته (الطبقية) على الآخر (وهو من منظورها لا حقوق له، ولا يمكن الاعتراف به كندّ أو شريك، والعلاقة معه تبنى على أساس تصادمي بغيته فرض الهيمنة عليه وقبوله لها وتقديمه فروض الطاعة). وعليه، فأن الفرد لا

بد أن ينتمي إلى إحدى هاتين المجموعتين: هم ونحن. وكل من هو خارج المجموعة (الأولى) ينظر إليه كملتحم مع المجموعة الأخرى خارج الأولى وذلك نتيجة لمعارضته لما ولمن هم فيها أو لفقدانه الهوية ضمنها. [٢١]

٤-١-من هو الأنا وماذا يمثل في "رأيت رام الله"؟

أما على صعيد "من هو الأنا؟" في الرواية، فهنالك شخصية مريد البرغوثى وأسرته وأصدقائه والفلسطينى عامة وهذه الشخصيات هي التي تمثل الأنا بمستوياته المختلفة؛ الأنا الفردي والجمعي بكل إشكالياته. إلا أنّ الذي يهمنا أكثر، هو الأنا الجمعي الذي يمثل فلسطين.

٤-١-١-الذات/بشرعادى

لم يتعمَّدْ (مُريد) إسقاط الطَّابع البطولي على شخصيّاتهِ أو حتَّى شخصيّته فابتعد عن تمجيد الشَّخصيّةِ الفلسطينيّةِ وتصويرها شعريًّا كأنَّهم كائناتٌ خرافيّةٌ أو ضحايا.

– سالني المذيع في مقابلة أُجْرِيَت معي في مقر الاذاعة الفلسطينية في رام الله:

– السنا شعب معجزة؟ شعبا مختلفا؟وطنا مختلفا؟

– قلت مختلفون عن من بالضبط! وعن ماذا؟ كل الشعوب تحب أوطانها وكل الشعوب تحارب في سبيلها اذا اقتضى الامر الشهداء يسقطون من اجل قضاياهم العادلة في كل مكان المعتقلات والسجون مكتظة بمناضلي العالم الثالث والعالم العربي في طليعتها لقد عانينا وقدمنا التضحيات بلا حد لكننا لسنا افضل ولا اسوأ من الاخرين. بلادنا جميلة وكذلك البلدان الاخرى علاقة الناس باوطانهم هى التى تصنع الفروق فاذا كانت علاقات ورشوة وفساد تأثرت بذلك صورة الوطن [٢٢] فالإنسانُ الفلسطينيّ مثلهُ مثل أفراد شعوب العالم، يتألّم، يتأثَّر، يضعف، يَجبُن، يُرائي، ويتسلَّق، باختصار: هو ليس الإنسان العربي الكامل، ولا الإنسان المُستحيل، وهذه من علامات الحيادِ في هذا الكتاب. فقد تعوَّدنا في الأدبِ الفلسطيني، تصوير الشَّخصيّة الفلسطينيّة بصفاتٍ ترفعُها عن مستوى البشر العاديين، فهم الأبطال، الفدائيّون، الصَّابرون، المُتماسكونَ، القانعون، الّذين ترتبطُ جذورهم بباطن الأرض؛ ليصبحَ الفلسطينيُّ النَّموذج الأوحدَ أو النَّموذجَ المثالي للإنسان العربي .إذًا، هم بشرٌ ككلّ البشر، وليسوا شعبَ المُعجزة والمُستحيل والاختلاف[٢٣].

٤-٢-٢- الذات /الغريب

ارتبط مفهوم الغربة في المعاجم العربية بالمكان والبعد عنه، فيقال الغرب الذهاب والتنحي، ويقال أغربته وغربته إذا نحيته ، والغرب أيضا هو الابتعاد عن الوطن، ويشير الجوهري إلى هذا المعنى بقوله "التغريب النفي عن البلاد، وأيضاً غرب بعد وأغرب عني أي تباعد"[٢٤]، وهذا ما أكده ابن منظور في تحديده معنى الغربة بقوله: "الغربة والغرب النوى والبعد، ويقال أغربته وغرّبته إذا نحيته وأبعدته، والتغريب النفي عن البلد" [٢٥]،إذاً الغربة

هي البعد والتنحي ويشير القرطاجني إلى مفهوم الحنين الذي غالبا ما يرتبط بالغربة من خلال حديثه عن الذكريات للعهود الحميدة التي تلتذ النفوس بتخيلها وذكرها وتتألم من تقضيها وانصرامها[٢٦]. مريد في "رأيت رام الله" كتب الغربة كما لم يكتبها أحد، بكل الأشكال والتعبيرات، الغربة موت..الغربة مرض، الغربة شعر،الغربة قسوة،الغربة شبه جملة . هو لا يكتب عن الغربة فى المنافى فحسب، بل يكتب عن نفسه حين عاد الى فلسطين ووجد نفسه غريبا عنه وعن البلد وأهلها لغيابه الطويل. يعرف البرغوثى الغريب فى المنفى"الغريب هو الشخص الذى يجدد تصريح اقامته[٢٧] وهو الشخص الذى يسأله الناس من أين هو ويدفع ثمن تغيير السياسة حتى لو لم ينت مهتما بها، يقول مريد:" الغريب هو الذي يقول له اللطفاء من القوم: أنت هنا في وطنك الثاني وبين أهلك. هو الذي يحتقرونه لأنه غريب. أو يتعاطفون معه لأنه غريب.والثانية أقسى من الأولى."[٢٨]

ساوى البرغوثى بين الغربة والموت، وظن لوقت طويل أن الغربة تصيب الآخرين ولكنها أصابته بعد عام ٦٧، ومن يصاب بالغربة يظل غريبا حتى لو عاد الى وطنه" لكننى أعرف أن الغريب لا يعود أبدا الى حالاته الأولى. حتى لو عاد، خلص، يصاب بالغربة كما يصاب بالربو[٢٩] وأحيانا الغربة عندهغربة مكانية وهو الإحساس الذي يعيشه الإنسان في بعده عن وطنه وهو المكان الذي ارتبطت به ذكرياته؛ يصور البرغوثى نفسه كغريب لا يعرفه أحد من أهل بلده ويبدوا دخيلا على المكان وغير منتم لأحد"حتى ذلك الشيخ الذى يسير ببطء وتأمل لم يعرفن ولم أعرفه [٣٠] أين نعيش؟ لأي أرض ننتمي؟ لأي بيت،، وأشجار،،؟ لأي سرير و كوب قهوة؟ لأي تفاصيل يومية ؟ عشنا مع مريد الشتات الذي حكى عنه حين عاش في بودابست ١٧ عاماً لا يرى زوجته وابنه إلا في العطلات.. حين عد عدد البيوت التي سكن فيها ووجدها ٣٠ بيتاً.. حين صار يفضل سكن الفنادق حتى لا يؤثث لحياة يومية يتعلق بها.. مريد وجد حلاً حين قال: "أنا لا أعيش في مكان أنا أعيش في الوقت" "أماكننا المشتهاة ليست إلا أوقاتاً"[٣١] . فالغربة ومظاهرها كثيرة عنده وعند الذات الفلسطينى :"الغربة لا تكون واحدة .انها دائما غربات ، غربات تجتمع على صاحبها وتغلق عليه الدائرة. يركض والدائرة تطوقه. عند الوقوع فيها يغترب المرء في "أماكنه" وعن "أماكنه". أقصد في نفس الوقت. يغترب عن ذكرياته فيحاول التشبث بها . فيتعالى على الراهن والعابر. انه يتعالى دون ان ينتبه إلى هشاشته الأكيدة .فيبدو أمام الناس هشا ومتعاليا. أقصد في نفس الوقت[٣٢]. وبهذا يعكس صورته كآخر غريب عن هذا المجتمع وغريب عن بلده التى يعود اليها حاملا ماضيا عاشه فى البلدان الأخرى.

٤-٢-٣-الذات /المقاوم

أدب المقاومة هو الأدب المعبر عن الذات(الواعية بهويتها) والمتطلعة إلى الحرية، في

مواجهة الآخر المعتدي، ليس من أجل الخلاص الفردي، بل لأن يضع المبدع: جماعته/ عشيرته/قبيلته/دولته/أمته، موضع اهتمامه، محافظا على القيم العليا". فالمقاومة بالمعنى الشامل تتغلغل في سلوكيات الحياة اليومية للأفراد وحتى مواجهات الشعوب. تبدأ بالوعي بالذات وبالآخر وليس إلى نهاية؛ لأنها "المقاومة" تتجدد في أطرها وتشكيلاتها بالوعي واكتساب الخبرات[٣٣]. يقدِّم الكتاب معلومات عديدة عن طبيعة الحياةِ في فلسطين، والتَّفاصيل الشَّديدة الّتي يعيشها الإنسان الفلسطيني في واقعه.. يرسمُ لنا لوحةً تضجُّ بالتَّفاصيلِ الإنسانيّةِ اليوميّة في الضِّفةِ الغربيّةِ وفي القدس وفي رامَ الله وفي قريته، ويُوثِّقها توثيقًا تاريخيًّا مُعاصرًا، مازجًا السِّياسةَ بالاقتصادِ بالحياة الاجتماعيّة بالمعاناة الشَّخصيّة، هي لوحةٌ كبيرةٌ لمشهد كبير، فكانَ خير مثال للمدرسة الواقعيّة.لا يسقط البرغوثى هنا فى فخ فرض البطولة على الفلسطينى و تكرارالصور التى يظهر فيها الفلسطينى بطلا، بل يتحدث عن الناس العاديين و قدرتهم على مقاومة الاحتلال و ظروفه الصعبة [٣٤]

ولا تخضع والدة البرغوثى للصعوبات التى يضعها الاحتلال، وكانت تكافح لتتجاوزها فتقف تحت الشمس طول النهار"لتستخرج أى ورقة من الحاكم العسكرى الاسرائيلى.تستخرج تصريحا جديدا فى كل مرة لترى أبناءها فى الدوحة أو القاهرة أو بيروت أو باريس أو بودابست أو أخاها فى الكويت أو تلتقى بالجميع فى فندق بعمان اذا تمكن الجميع من دخولها ورغم تشتت عائلة البرغوثى فى بلدان مختلفة تظل والدته تحلم حلم عودتهم للعيش جميعا وآبناءهم تخت سقف واحد قريب منها" [٣٥]. يشير مريد البرغوثى فى أثناء سيرته الذاتية الى أمه المقاومة التى لا حد لطموحها وهى تواجه وترفض كل المصائب أمامها: "ما لم تتمكن هى من تحقيقه تتوقع أن يحققه أولادها. وما لم نحققه نحن تتوقع أن يحققه أحفادها. وهى على ثقة دائما أن "المرء يستطيع إذا أراد"و ما تزال الى الان، و قد تجاوزت الخامسة والسبعين من العمر، روحا متمردة على كل تزمت اجتماعى"[٣٦]. يكتب البرغوثى عن أخيه منيف الذى غيبه الموت و لكن أكثر ما يميز منيف هو رغبته بالعودة إلى دير غسانة و ايمانه بمقدرة الفلسطينيين على أن يصنعوا لهم غدا أفضل وكان منيف يخطط لهذه العودة: "فى هذه الساحة المتهدمة التى وضع لها الدراسات والخطط لترميمها وإعادة إعمارها.أراد أن يحولها الى ساحة للعروض الفنية الجماعية ومراسم للرسامين، وأن يقيم فيها حضانة للأطفال ومعهدا لتعليم الفنون الزراعية. وخطّط لاستعادة إقواسها وقبابها وبواباتها الأثرية الى بهائها الاول [٣٧] . أم عدلى أيضا فى هذه الرواية تعتبر إمرأة مقاومة بعد استشهاد أسرتها كلهم وبعد عدلى ابنها خاصة: "كانت منذ سنوات قد فقدت الأم والأب والزوج. وعاشت لعدلى ابنها الوحيد . وعدلى استشهد على البوابة [٣٨] وفى "دارصالح" كلها لا يقيم مع أم عدلى أى مخلوق آخر.كلهم ذهبوا[٣٩].

ومن مظاهر المقاومة في هذه الرواية استشهاد الشباب فى عنفوان حياتهم ، منهم:" لؤى تلقى رصاصهم في مدخل القرية. كنا قرأنا له الفاتحة عندما مررنا بجوار الشاهدة الاسمنتية المقامة في موضع دمه. رشق حجرا. رشقوه بالرصاص. تركوه لعويل القرية كلها وذهبوا. لم يبلغ لؤى ولا بلغ عدلى الثامنة عشرة على الاطلاق [٤٠]. الشباب الفلسطينيين يقاومون ضد الآخر الصهيونى لرفع العلم الفلسطينى ونظرا لأهميته يلقون حتفهم ويستشهدون ليرفع العلم: "كان رفع علم فلسطينى صغير على سطوح مدرسة أو بيت أو حتى على أسلاك الكهرباء فى الشوارع، يكلف الشاب حياته.كان جيش رابين يطلق النار و يقتل من يحاول رفع علم واحئ. ورغم ذلک قدمنا الشهدا طول الانتفاضة من أجل رفع العلم.الان العلم فى كل مكان وراء طاولة كل موظف مهما صغرت وظيفته" [٤١].

ومما يلفت الأنظار أن الفلسطينيين يرفضون الحضور فى المحاكم الاسرائيلية أيضا "لا أحد يرضى أن يلجأ لمحاكم الاحتلال أيا كان السبب ومهما كانت الخسارة" [٤٢] وعلاوة على الفلسطينيين وشبابهم ونساءهم ورجالهم وأطفالهم الخضرة أيضا تقاوم" لكن الخضرة شحت لأن اسرائيل تسرق المياه منذ الـ٦٧.ورغم ذلک الخضرة تقاوم [٤٣]. وحسب اعتقاد البرغوثى العودة من الخارج الى الوطن يعتبر نوعا ما من المقاومة : كل من يستطيع أن يرجع وأن يقيم فليرجع على الفور. يعنى نتركها للفلاشا واليهود الروس وزعران بروكلين؟ هل نتركها للمستوطنين؟ ليعد من يستطيع العودة من الخارج.بتصريح، بلم الشمل، بوظيفة، بالجن الأزرق.ابنوا فى قراكم آإذا قدرتم.ابنو مستوطنات فلسطينية فى فلسطين يا أخى ! قال غلطة قال! يا عمى تعالوا[٤٤]. كما تجلت ملامح المقاومة في رواية البرغوثى بعد رصد الشخصيات، رصده للأحداث ونقده المباشر وغيرالمباشر للواقع المعاش، من خلال الالتفات إلى جزئيات الحياة اليومية. هذا بجانب رصد تغيرات الزمن وانعكاسها على النص الروائي. وهو يقاوم فى وجود حقين متساويين فى أرض فلسطين، مشيرا الى عدم وجود المنطق عند الأخرين حين سلب الأراضى الفلسطينية: لكننى لا أقبل الحديث عن حقين متساويين فى الأرض، لاننى لاأقبل أن يدير الاهوت فى الأعالى الحياة الساسية على هذه الأرضورغم ذلک كله فلم أكن ذات يوم مغرما بالجدال النظرى حول من الحق فى فلسطين.فنحن لم نخسر فلسطين فى مباراة للمنطق! لقد خسرنا ها بالإكراه و بالقوة. [٤٥] ولكن الفلسطينيين يقاومون الى الأبد وليسوا نائمين:"الدقيق أن المجتمع الفلسطينى كله فى حالة انتظار. الفلسطينيون لم يغمضوا أعينهم بعد"[٤٦].

٤-٢-٤-الذات /المخطىء

كلنا يحسن انتقاد الآخر وترصد أخطائه ووضعها تحت المجهر، سواءً كان هذا الآخر فرداً أو جماعةً أو أمة و يتساهل الناس في الحديث عن أخطاء الآخرين وإحصائها بل يجدون

متعةً في ذلك، بينما يتحرجون من أي مساس بالذات وانتقادها، وذلك في آلية نفسية لا شعورية لإظهار أفضلية الذات وقداستها.فالذي يشغل نفسه بترصد أخطاء الناس يحاول إخفاء عيوبه بإظهار عيوب الآخرين، ولكن مريد يوضح مظاهر أخطاء الفلسطينيين: من يعتذر لهم؟ من يعتذر لنا؟ من يفسر لمن هذا الارتباك العظيم؟حتى فى قرية صغيرة كدير غسانة، كنا فى طفولتنا نسمع مفردات من نوع "مهاجرين" و"لاجئين"! بل إننا ألفناها وتعودنا على استعمالها! كيف لم نسأل أنفسنا فى ذلك الوقت عن معنى تلك المفردات! كيف لم ينهرنا الكبار عن استخدامها؟[٤٧]. البرغوثى مشيرا الى أن الكوارث لا تسقط على رؤوس الناس كما تسقط الشهب من السماء على مشهد طبيعى خلاب! يقول:"أن لدى تلك الرغبة فى رصد حصة الضحية من أخطائها وعدم الإكتفاء برصد الخلل عند الآخرين، الغازى أو المستعمرأو الإمبريالية الخ؟[٤٨] ورغم اعترافه بأخطاء الذات هو لا ينكر جريمة الآخر وعدوانه:" لنا حصتنا من الأخطاء بالطبع. حصتنا من قصر النظر. ولكنى على يقين من أننا لم نكن دائما مشهدا طبيعيا خلابا! رغم أن هذه الحقيقة لا تعفى العدو من جريمته الأصلية التى هى أول الشرور ومنتهاها [٤٩].

٤-٢-٥-الذات الفاسد

اتجه الكتاب الفلسطينيون صوب كتابة الرواية، كوسيلة أفضل في تناول تجربة الشعب الفلسطيني القاسية والثرية. ورأى الكتاب أن الرواية هي الشكل الأنسب، لما لها من قدرة عظيمة على التعبير عن المعاناة التي تخلفها المصائب المختلفة، وعلى التوغل في النفس البشرية والبحث في أحلامها ورغباتها وكوابيسها وتصويرها. غير أن الكاتب مريد البرغوثى في روايته أخذ منحى مغايرا في بعض الأحيان.لانه صحيح أن صراع الشعب الفلسطيني مع الأنظمة العربية ونضاله ضدّ الاحتلال هو محور الرواية وعمودها الفقري، إلا أن بعض شخصياته شخصيات سلبية. يشير مريد أن الكل خائف على ما لديه هنا. كثيرون سجلوا ممتلكاتهم فى البلاد بأسماء أقربائهم حتى لا يصادرها الإحتلال بحجة أنها إمتلاك غائبين. هكذا تم إنقاذ الأراضى والمنازل الفلسطينية التى يعمل أصحابها فى الشتات.... ولو لا الثقة المتبادلة بين المغادرين والمقيمين لصادرت اسرائيل كل شىء. "أذهلنى ما قالهدأبو باسل الذى جاء مع من جاء للسلام على، من أنه كان سجل بيته و أرضا له باسم أخته أثناء عمله فى السعودية وعندما حصل على لم شمل وعاد الى دير غسانة اكتشف أن شقيقته سجلت البت والأرض باسم أبنائها هى ولم يجد لنفسه مكانا يقيم فيه "(نفس المصدر:١٢٦). إذن الى جانب قصص الوفاء الباهرة، و التزام المقيمين بحقوق الغائبين دون تمهيدات مكتوبة أو توكيلات قانونية، إلا أن القليل منهم استولى بالفعل على ما اؤتمن عليه، ويرفض الان أن يعيده لصاحبه الأصلى. (الحياة تستعصى على التبسيط كما ترونها

عدد قليل من المقيمين يخشى مطالبة العائدين بما كان لهم قبل الاحتلال، من زيتون أو بيوت أو شقق أجرت بأرخص الأسعار لمجرد بقاء السكان فيها كنوع من حمايتها.

٤-٢-٦-احتقار الذات للآخر

تستند الرؤية العدوانية إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات والذات نفسه يقوم باحتقارالآخر ويسميه مرة بولد الزنا و مرة أخرى بأولاد حرام. يتذكر البرغوثى فيلما تسجيليا فيه شخصية من بطلات الانتفاضة اسمها فرحة..فيبدى له الجندى الاسرائيلى دهشته من أمر يتكرر بالفعل على امتداد سنوات الانتفاضة و هو أنه عندما ترى النساء شابا مقبوضاعليه من قبل جنود اسرائيل يهاجمن الجندى و تصبح أكثر من واحدة منهن: "إبنى إبنى أتركو إبنى" (٥٠)

– صرخ الجندى فى وجهها:– روخى كذابة، كم أم لولد واحد؟مئة أم لولد واحد؟ إمشى من هون. ياالله (٥١) و صرخت فى وجهه: أبوة. إحنا هيک.الولد عندنا له مئة أم ، مش مثل أولادكم كل ولد له مئة أب!!(٥٢) وتحتقر المرأة الجندى الاسرائيلى بتسميته ولد الزنا. وفى مثال آخرمليحة النابلسية إحدى شخصيات الرواية تجيب عن سؤال حول شخصية نتانياهو و تسميه ملعونا لا يعرف الحق والباطل وأكثر من هذا تعرفه ولد الحرام! "والله هذا نتنياهو لا بتعرف تاخذ منه حق ولا باطل.هذا ملعون والدين انتو بتعرفوهوش.

ولما سألتها إذا كان بيريز أحسن منه أشاحت بيدها:

الإثنين أنحس من بعض.. كلهم اولاد حرام (٥٣)

الاحتقار شعور لدى شخص لشخص آخر يرى من خلاله ان الشخص المقابل لا يساويه انه لايساوي شيء ومن الأفكار أيضا ما يمكن احتقاره ويحتقر ويكون الكبر من الأسباب الرئيسية لاحتقار الناس ويكون أيضا بسبب الاشمئزاز من الشخص المقابل أو من أفكاره وتصارفاته وتتنوع اساب الاحتقار: "كانت خالتى أم فخرى صغيرة الحجم بشكل ملفت. خصوصا إذا صارت الى جوار خالى.عنما عبرا الجسر معا الى رام لله قادمين من عمان، أنهى الجندى الاسرائيلى معاملة خالى أبو فخرى أولا. لكنه ظل ينتظر فى مكانه .حثه الجندى على المضى قدما فقال له أنه سينتظر "المدام" و أشار الى خالتى.نظر الاسرائيلى الى الخال "أبو فخرى" العملاق و إلى خالتى ثم قال بعربية مكسرة:كم سنة إنتى مع المدام؟ خمسين سنة يا خواجا؟ فإذا بالاسرائيلى يقول له و هويبتسم:خمارة !(حمار)" (٥٤)

فعلاوة على احتقار الذات للآخر، الآخر أيضا يقوم بتحقير الذات وإن كان الاحتلال والتهجير والتشريد مظاهرا وشواهدا للاحتقار. وفى هذا المجال يشير برغوثى الى الجندى الاسرائيلى وخطابه للفلسطينى وتسميته حمارا.

٤-٢-٧-الذات /المتخلَف

الأخر يحتل البلد ويبنى المستوطنات ويدمر الأراضى الفلسطينية ويشرد الذات من فلسطين ويحرمه من السيادة" "اسرائيل تحرمنا من السيادة حتى على وسائل المواصلات" [٥٥] ويأخذه كل ما لديه" أخذو كل الشيء عنا أخذوا "[٥٦] بحيث" دور السينما الثلاث معطلة ومغلقة الأبواب منذ سنوات طويلةالمكتبات لا تبيع الكتب. تحولت الى بيع النثريات والحلوى والأدوات المدرسية البسيطة"[٥٧] ورغم هذا كله ركض بكل ما لديه الى الأمام واتخذ كل التدابير اللازمة ليطمئن أن الذات الفلسطينى سيظل يركض الى التخلف.الاحتلال أبقى القرية الفلسطينية على حالها وخسف المدن الفلسطينية الى قرى.كأن اسرائيل تريد أن تجعل الجماعة الفلسطينية كلها ريفا لمدينة اسرائيل.بل إنها تخطط لرد المدن العربية كلها الى ريف مؤبد للدول العبرية: "هل يعقل أن أذهب الى الحسبة ،سوق الخضار فى رام الله، بعد غياب ثلاثين سنة فأجدها على حالها الذى كان رثا منذ ثلاثين سنة وكأن الباغة لم يغيروا صناديقهم ولا ملابسهم ولا يافطات أسعارهم؟.لم أذهب الى القدس ولا الى تل أبيب والمدن الساحلية لكن الجميع يتحدثون عنها كقطعة من أروبا فى تنسيقها وخضرتها ومصانعها ومنتجعاتها". [٥٨] ومريد مشيرا الى هذه السياسة المشؤومة يعبرعن نقمتهم على الاحتلال الصهيونى:" بل إن نقمتنا على الاحتلال راجعة اساسا لكونه يوقف نمو مدننا ونمو مجتمعاتنا ونمو أناقة الحياة عن طريق إعاقة سياقها الطبيعى[٥٩]

٤-٢-٨-الذات /المتعامل مع الآخرين

للصراع الفلسطينى والاسرائيلى جذور قديمة فى التاريخ ولكن الفلسطينيين عاشوا وويعيشون مع الآخرعيش السلام فى العصرالمعاصر ومنهم الديانة المسيحية والمسيحيين فى رام الله كما يوضح مريد: "من الأمور الجميلة فى رام الله أنها مجتمع رحب وشفاف، نسيجه مسيحى اسلامى، تتمازج فيه طقوس أصحاب الديانتين، بشكل تلقائى بديع. شوارعها ومحلاتها ومؤسساتها كلها تتزين بزينة الكريسماس ورأس السنة ورمضان وعيد الفطر والفصح والأضحى. رام الله لا تعرف اسئلة المذاهب والطوائف والمعتقدات[٦٠] يعيش الديانتان المسيحية والاسلامية فى مدينة رام الله وتقام الاحتلافات المختلفة المتعلقة بالاسلام والمسيحية معا فى هذه المدينة . ومن جهة أخرى الفلسطينى يتعامل مع الآخرين العرب جميعهم ويعتبر آلام قضيته كجزء من آلام العرب: "الغرباء يلتقون بالغرباء. وتجربة الموجوعين العرب علمتنى أن وجعى كفلسطينى هو جزء من كل وتعلمت أن لا أبالغ فيه" [٦١] مريد حين يراجع التاريخ يشير الى عدم جفاءهم اليهود ويتكلم عن كراهة اروبا العصور الوظطى وكراهة فرديناند وهتلر بالنسبة لليهود وعن بداية الصراع بينهم وبين اليهود مشيرا الى طموحهم الوافرة فى غصب الأراضى الفلسطينية كلها: "عندما كنا نحن فلسطين، لم

نجفل من اليهودى. لم نكرهه . لم نعاديه.كرهته اوروبا العصور الوسطى، ولم نكرهه نحن.كرهه فرديناند وإيزابيللا، ولم نكرهه نحن.كرهه أدولف هتلر ولم نكرهه نحن. عندما طلب مكانا كله ونفانا منه، أخرجنا وأخرج نفسه من قانون التساوى، صار عدوا. وصار قويا. صرنا غرباء و ضعفاء"[٦٢] إذن يستطيع الفلسطينى أن يعيش فى سلام وأمن فى جوار الأخرين كالديانة المسيحية والأديان الأخرى ولكن بشرطها وشروطها وأن لم يكن الأخر محتلا ومتجاوزا الأراضى الفلسطينية جميعا.

٤-٢-٩-الذات/المبتهج

لا تمضي الحياة اليومية للفلسطينيين في ما يسمّى بمناطق السلطة، أو الضفّة والقطاع، يعني ما احتلّ في حرب حزيران ٦٧،متشابهة كما يخيّل للمتابعين عن بعد، فالحياة اليومية الفلسطينية وإن اتسمّت بالموت الناجم عن القصف، وعمليات الاغتيال، والاجتياحات المتكرّرة، والموت والولادات على الحواجز تحت عيون جنود الاحتلال المستمتعين بمصائب الفلسطينيين، تضّج بتفاصيل طريفة، وبمفارقات مثيرة للدهشة، وأحياناً فيّاضة بالسخرية الفلسطينية اليومية، وتنوعها، وما فيها من صراعات، وتباينات[٦٣] فيقول مريد: "إن واقعنا المأساوى لا ينتج كتابة مأساوية بحتتة؛ للفلسطينى مباهجه أيضا.له مسراته الى جانب أحزانه.له نقائض الحياة المدهشةلانه كائن حى قبل أن يكون ابن نشرة أبناء الساعة الثامنة.فى قصص الانتفاضة التى يتناقلها الناس هنا تلتقى هذه النقائض.أحد الظرفاء من ديرغسانة عرفناه منذ الطفولة محروق الخد وكان يحادل حلاق القرية يوسف الجبين فى دفع نصف الأجرة لانه يحلق له جانبا واحدا من وجهه فقط، سافرالى الامارات لزيارة أقربائه هناك وأخذ يشرح لضيوفهم كيف أن وجهه احترق (فى الانتفاضة يا خال).كانت تلك طريقته فى السخرية من القيادات التلفزيونية التى"فبركوها" لتفرغ الانتفاضة الشعبية من محتواها[٦٤] فالأدب الساخر يستفيد من الصعوبات التي تواجه الأمة، والا "كيف نفسر وجود أدب ساخر في فلسطين التي تعاني من أكبر هم من الاحتلال الصهيوني، و قد اعتمد مريد السخرية في روايته ، في الوقت الذي كان يعيش ٣٠عاما بعيدا عم وطنه و الفلسطينيون يعيشون حياة صعبة، فالسخرية في الأدب هي وسيلة لمقاومة الاستعمار والتخلف.

٤-٢-١٠-الذات /هزيمة ١٩٦٧

حرب ١٩٦٧ أو حرب الأيام الستة، هي الحرب الثالثة فيما يسمى "حروب فلسطين"، أي سلسلة الحروب بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها. اندلعت الحرب في ٥ يونيو 1967 بين إسرائيل من جهة وكل من مصر، الأردن، وسوريا من جهة أخرى بتعاون مع قوات عراقية التي كانت مرابطة في الأردن ، دامت ستة أيام وهزمت فيها الأطراف العربية هزيمة ساحقة: "منذ الهزيمة فى حزيران ١٩٦٧لم يعد ممكنا لى أن أرى رقم الـ ٦٧

هذا إلا مرتبطا بالهزيمة.هل هزيمة حزيران عقدة نفسية عندى؟عند جيلى؟عند العرب المعاصرين؟"[٦٥] هناك انكسارات وخيبات مختلفة للعرب ولكن هذه الهزيمة تختلف عندهم وكما يشير البرغوثى: "لقد وقعت بعدها أحداث وخيبات لاتقل خطورة ، ونشبت حروب، ونفذت مجازر، وتغيرت اللهجات السياسية والفكرية، غير أن الـ ٦٧ تختلف عن كل ذلك"[٦٦] ومن آثارها السوءة للعرب تكيفهم مع شروط الأعداء .منذ الـ٦٧ كما قيل:"وها هو بنيامين نتانياهو، رئيس وزراء إسرائيل، يهدّى من مخاوف أمريكا على التسوية الراهنة بقوله إن العرب فى النهاية سيتأقلمون مع تشدده، لأنهم تعودوا على التأقلم مع ما يفرض عليهم!" [٦٧] ، فكان من نتائج هذه الهزيمة خسائر بشرية ومادية كبيرة، واحتلال أجزاء واسعة من الأراضي العربية، وتدمير أغلبية العتاد العسكري العربي ولهذه الهزيمة آثرات مختلفة فى حياة الفلسطيين كما يشير مريد البرغوثى.

٤-٣- من هو الآخر وماذا يمثل في "رأيت رام الله"؟

تعددت الصور التى ظهر فيها الاسرائيلى فى نص البرغوثى والصورة الأعم له هى الاسرائيلى المحتل والصورة الثانية فهى صورة الاسرائيلى المتعاطف مع الفلسطينيين. ومما يلاحظ على صورة الآخر عند البرغوثى أنه لم يستعمل لفظ "يهودى" بل أشار دائما إلى الآخر بألفاظ "اسرائيلى/ الاحتلال / الجندى" [٦٨] ولا يغرق البرغوثى فى أى وصف جسدى للجنود الاسرائيليين ولم ينعتهم بما ليس فيهم ويبدو أن النمط الاكبر الذى يكتب عنه البرغوثى هو"النمط العدوانى الاستلائى الشرس الذى لايأبه بحقوق الآخرين أو إنسانيتهم [٦٩]

٤-٣-١-الآخر/ المحتل

تغلب صورة الاسرائيليين على أنهم محتلون؛ فالاسرائيلى فى نص مريد دوما يبدو محتلا دون مشاعر" وجهه لا ينبىء عما يفكر به" [٧٠] ويبدو مجردا من الانسانية: "هل هناك من إمتحن إنسانيته الفردية؟إنسانيته هو بالذات؟ أعلم كل شىء عم لا إنسانية وظيفته.إنه جندى احتلال ولا يفرق بين القتل بتلذذ وبين القتل كواجب عسكرى لا مفر منه" [٧١] كما ويؤكد البرغوثى على تشتت هذا الكيان الدخيل فى فلسطين ففى حين يرتبط الفلسطينيون ببعضهم البعض وبالارض وعند أغلبهم شجرة أنساب ثابتة تمتد طويلا عبر تاريخ هذا البلاد يبدو أن الاسرائيليين شعب متشتت لا تاريخ له و لا أصل": هل جاء أبواه من ساخسن هاوزن أم من داخاو؟ أم أنه مستوطن جاء حديثا من بروكلين؟ وسط أروبا شمال پيڤريقيا؟ أمريكا اللاتينية؟ هل هو منشق روسى مهاجر؟ هل ولد هنا ووجد نفسه هنا دون أن يتأمل لماذا هو هنا؟[٧٢] ويتسائل البرغوثى عن شكل الحياة داخل كيان الاحتلال فرغم أنه يقابل الجنود إلا أنه لا يستطيع أن يتخيل أو يكتب عن حياة طبيعية يحياها هذا الكيان على الأرض التى احتلها إذ يبدو تخيل هذه الحياة نشازا" من يكون سكان هذه المستوطنة؟ من أين أتوا قبل أن

يوتى بهم إلى هنا؟هل يلعب أطفالهم الكرة وراء هذه الاسوار؟ وهل رجالهم ونساءهم يمارسون الحب خلف هذه النوافذ؟ هل يفعلون ذلک والمسدسات على جنوبهم؟ والرشاشات هل يعلقونها معبءة و جاهزة على جدار غرفة النوم؟

على التلفيزيون لا نشاهدهم إلا مسلحين

هل يخافون منا حقا أم نحن الذين نخاف؟"[٧٣]

مريد البرغوثى حينما يسمع مفرد" الأرض المحتلة" طيلة السنوات و فى المهرجانات المختلفة يشعر بإمكانية عدم وصوله الى بلده: عندما تسمع فى الإذاعات وتقرأ فى الجرائد والمجلات والكتب والخطب كلمة "الأرض المحتلة" سنة بعد سنة ومهرجان بعد مهرجان تحسبها وهما فى آخر الدنيا! تظن أن لا سبيل للوصول إليها بأى شكل من الأشكال [٧٤]؛لأن كل الشىء فى أيدى المحتلين"كل الأجراءات الأمنية والجمركية والإدارية من اختصاصهم هم من اختصاص "الجانب الآخر"[٧٥] وهم يفعلون ما يشاؤون: "إسرائيل تغلق أية منطقة تريدها فى أى وقت تشاء .تمنهع الدخول والخروج لأيام پيپيأو لشهور حتى تزول الاسباب وهناک دائما"أسباب"[٧٦] ولا مجال للذات الذهاب الى المدن الفلسطينية وخاصة القدس إلا بشرطها وشروطها:" فقط برفقة قيادى فلسطينى من الذين يحملون بطاقة"شخص مهم جدا" يمكنک الذهاب الى القدس.(و الشخص المهم جدا بالنسبة للإسرائيليين لن يأخذک لرؤية القدس إلا اذا كنت نت شخصا مهما بانسبة له هم!)[٧٧] كأنهم الأول والآخر وهم أسياد كل الأمكنة: " ما الجديد هنا؟ ما زال الآخرون هم الأسياد على المكان. هم يمنحونک التصريح. هم يدققونک أوراقک.هم يفتحون لک الملفات.هم يجعلونک تنتظر[٧٨] ويبدو أن الفلسطيين ممنوع لهم حتى الحياة!" الأهالى ممنوعون من التعمير والعمل فى محيط القرية والمناطق التى تعنبرها إسرائيل جزءا من ترتيباتها الأمنية [٧٩]. يشير مريد الى آثار الإحتلال؛ منها: حضورالمحتل فى حياة الذات فى جميع المجالات:"الاحتلال يمنعک من تدبر أمورک على طريقتک.إنه يتدخل فى الحياة كلها وفى الموت كله يتدخل فى السهر والشوق والغضب والشهوة والمشى فى الطرقات.يتدخل فى الذهاب الى الاماكن ويتدخل فى العودة منها[٨٠] وأما المستوطنات! التى تبنى فى الأراضى الفلسطينية وهي مراكز سكنية شيدتها اسرائيل في الاراضي المحتلة خلال حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ ويقيم فيها مستوطنون اسرائيليون. مريد ابرغوثى فى سيرته هذه يشير الى هذه المستوطنات و شعوره بها:"وكل ما سمعناه و قرأناه عن المستوطنات، لايساوى شيئا أمام مشاهدتها بعينيک(٣٦) والمستوطنات ليست قلاعا من الليجو أو الميكانو التى يلهب بها الأطفال. إنها إسرائيل الفكرة والأيدولوجيا والجغرافيا والحيلة والذريعة. إنها المكان الذى لنا وقد جعلوه لهم. المستوطنات هى كتابهم.شكلهم الأول.هى الميعاد اليهودى على هذه الأرض.هى غيابنا. المستوطنات هى التيه الفلسطينى

ذاته. [٨١] الآخر المحتل يسعى لتخريب الفلسطينيين وقضيتهم المقدسة "نجحت اسرائيل فى نزع القداسة عن قضية فلسطين، لتتحول، كمت هى الان، الى مجرد "اجراءات}"و "جداول" زمنية" لا يحترمها عادة إال الطرف الأضعف فى الصراع[٨٢] وعلاوة على هذا أثر الاحتلال فى خلق أجيال بلا مكان تتذكر ألوانه ورائحته وأصواته.بلامكان أول خاص بها، تتذكره و هى فى إقامتهاالملفقة"الاحتلال الطويل الذي خلق أجيالا إسرائيلية ولدت في إسرائيل ولا تعرف لها "وطناً" سواها... خلق في الوقت نفسه أجيالاً من "الفلسطينين الغرباء عن فلسطين " ولدت في المنفى ولا تعرف من وطنها غير إلا قصته وأخباره[٨٣] بحيث يمكن أن يفقد فلسطينى ما حق إقامته فى فلسطين إن شاء الاسرائيليون:" إتفقنا أن تقيم الوالدة مه أبى و مجيد و علاء فى عمان بعض الوقت، ثم تعود إلى رام الله لتجديد تصريحها و هويتها، حتى لا تفقد حقها فى الإقامة فى فلسطين التى أصبحت بأكملها محتلة. [٨٤] وفى هذه العبارة "المفاجأة أنه(نهر الاردن) أصبح بعد هذه السنسن الطوال نهرا بلا ماء.تقريبا بلا ماء .الطبيعة اشتركت مع اسرائيل فى نهب مياهه [٨٥] يبدو الأديب الفلسطينى متعبا بحيث يشير الى مشاركة الطبيعة فى احتلال المستعمرين. ومن أثرات الإحتلال الملايين من المشردين واللاجئين اللذين يعيشون حياة صعبة خارج البلاد؛ بحيث يشتغلون بالمهن السخيفة وهم ممنوعون من العمل فى المهن الكثيرة: "ورغم ذلک فملايين اللاجئين فى مخيمات الشتات غير مسموح لهم بحمل وِائق سلطة الحكم الذاتى. غير مسموح لهم بالعودة غير مسموح لهم بالانتخاب ولا الترشيح ولا إبداء الراى ولا المشاركة السياسية.فى لبنان قرار حكومى الان بمنع الفلسطينيين المقيمين فى المخيمات من العمل فى ٨٧مهنة! أى أن بوسعهم جمع القمامة وتلميع الأحذية فقط. ومن يسمح له بالسفر من لبنان لا يسمح بالعودة إليه" [٨٦]. فمريد الفلسطيني في الداخل المحتل يصور صورة هذا الاسرائيلي الذي يعيش معه ولا يتعايش معه ويظهر وبشكل أساسي كعدو لدود جدا وأن العلاقة معه تبدو متشيئة أي مع وعبر الأشياء المحضة كالسجون والمعتقلات والرصاص والقوانين العسكرية ومصادرة الأراضي ونسف البيوت، الخ... وأن العلاقة معه تقوم على اعتبار صورته جنديا وسجانا ومستوطنا وقاتلا ومحققا ومغتصبا ومسلحا وخواجا وعنصري..

٤-٣-٢-الآخر /المتعاطف

ويكتب البرغوثى عن الاسرائيلى المتعاطف مع الفلسطينيين، فقد التقى بالمحامية الاسرائيلية (فيلسيا لانجر) فى أحد المؤتمرات وفى أثناء المؤتمر وترک كرسيه قليلا ليعود فيجدها تجلس عليه، تبدو هذه السيدة فى البداية متعاطفة مع الفلسطينيين ومتفهمة لطبيعة الصراع فتقول لمريد:"يا الهى! نحن متخصصون فى احتلال أماكن الفلسطينيين حتى ولو فى النمسا [٨٧] وأمام هذا الموقف يستحضر البرغوثى امتزاج المأساة يالسخرية فيقول لها: "أين نذهب يا

ناس؟ هل تقبلينني لاجئا فى"بلدكم"؟ [٨٨] ورغم أن التعبير يشير الى تهكم البرغوثى حول مسؤولية اسرائيل عن الوضع الفلسطينى وكان توقع أنها نتيجة لمواقفها المعروفة والمساندة للفلسطينيين:" تعمدتُ استخدام هذا التعبيركأننى أريد أن أعرف كيف تنظرهى الى"بلدنا".كنت أشير متهكمت الى مسؤولية إسرائيل عن وجودنا فى صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة [٨٩] ولكن ردها يكون"يا ريت! لكن قوانين حكومتنا لا تسمح بذلك!! [٩٠]

إن الاسرائيلى ممكن أن يتعاطف مع الفلسطينى و لكن تعاطفه لا يتجاوز التعاطف الذى يبرر فيه لنفسه احتلال أراضى الفلسطينيين: "الاسرائيلى قد يتعاطف معنا، غير أنه يجد صعوبة عظيمة فى التعاطف مع"قضيتنا" ومع روايتنا.إنه قد يمارس رأفة الغالب بالمغلوب وقد يشبه العدو من يعاديه وفى فلسطين تطابق الشبه واكتمل: المكان للعدو. المكان لنا. الرواية روايته والرواية روايتنا.أقصد فى نفس الوقت"[٩١]

٤-٣-٣-الآخر/يدعى التضحية!

من هو الضحية بشريعة الاحتلال الاسرائيلي؟ أهو المستوطن الذي جاء من بلاد الغرب وافريقيا وأمريكا ليحتل أرضاً ليست بأرضه وليبني هيكله المزعوم أم صاحب الأرض الذي اغتصبت أرضه وهجر وشرد ودمر وحوصر وقُتل شعبه ؟؟؟ وفى هذا المجال الآخر الاسرائيلى يتلبس بملابس الضحية ويدعى أنه من ضحايا الحرب والعنف ولذلك عندما تحدث اسحق رابين بكل بلاغة عن مأساة الإسرائيليين بصفتهم الضحية:" نحن ضحايا الحرب والعنف"٢١٤ مريد البرغوثى يتذكر بأنهم لم نعرفوا عاما واحدا أو شهرا واحدا لم يبک فيه أمهاتهم أبناء هن:"رابين سلبنا كل شيء، حتى روايتنا لموتنا"[٩٢] هذا الزعيم يعرف كيف يطالب بأن تحترم الدم الاإسرائيلى. دم كل فرد اسرائيلى بدون استثناء، يقلب الحقائق، يغير الترتيب ويصورالذات الفلسطينى وكأنهم البادئون للعنف فى الشرق الاوسط. ويقول ما يقول ببلاغة. وبشكل يمكن تصديقه وتبنيه: "نحن الجنود العائدين من الحرب، ملطخين بالدماء، رأينا إخواننا وأصدقائنا يقتلون أمامنا وحَضرما جنازاتهم عاجزين عن النظر فى عيون أمهاتهم . اليوم نتذكر كل واحد منهم بحب أبدى" [٩٣] ومن السهل طمس الحقيقة بحيلة لغوية بسيطة: إبدأ حكايتک من "ثانيا" هذا هو رأى مريد و نعم هذا مافعله رابين بكل بساطة.لقد أهمل الحديث عما جرى"أولا":"ويكفى أن تبدأ حكايتک من "ثانيا" حتى ينقلب العالم. ويكفى أن تبدأ حكايتک من "ثانيا" حتى يصبح غضب السود على الرجل الأبيض هو الفعل الوحشى ويكفى أن تبدأ حكايتک من "ثانيا" حتى يصبح غاندى هو المسؤول عن مآسى البريطانيين"[٩٤]

النتائج:

-هذه السيرة تصور الفلسطينيين والذات أكثر من الأخر ومريد فى اشارته الى الجانب الآخر يكفى بذكر احتلال الأخر وآثاره السيئة وهو لا يغرق فى أى وصف جسدى للجنود الاسرائيليين ولم ينعتهم بما ليس فيهم ويكتفى بالآخر امحتل والمتعاطف والذى يدعى بالتضحية.

-لكن البرغوثى يصف الذات الفلسطينى وصفا شاملا ووافيا ويشير الى الذات وكونه بشرا عاديا، الذات المبتهج، الذات المخطئ، الذات الفاسد، الذات المقاوم، الذات المتعامل مع الآخرين والمتخلف والذات الذى يحتقر الآخر ويحس بالفشل بعد هزيمة ١٩٦٧.

-فهذه السِّيرة، ليست سيرته وحده، بل سيرة الملايين الّذين شرَّدهم الاحتلال؛ هي: حكايةُ المسجونين، والمهزومين، والمُغتربين، والمنفيُّين، واللَّاجئين، والهاربين، والمُهرَّبين، والمُبعثرين خارج أسوار الوطن. هو وجعُ ومرارةُ وخيبةُ كلّ الفلسطينيّين المنزوعين من جُذورِهم، والمزروعين في أراضٍ غريبَة -في الغالبِ لا تُرحِّبُ بهم. هذهِ السِّيرة الّتي تحملُ في داخلها ذكرياتِ الطُّفولة، وقِصَصِ (دير غسانة) ووجوه جيرانها، ووجوهِ الأصحاب والأقارب من بقيَ منهم ومن رَحل. وتنقُلُ رائحةَ المكان وأشجَارِهِ وزيتونه ومدرسته وبيته، ومواقفَ وأحداثًا يوميّة، وكثيرًا من التَّفاصيلِ الصَّغيرة الّتي اجتهد (مُريد) في إحيائها من ذاكرته وبعثها فوق الورق الأبيض.

المصادر:

-ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت،ط١ ،٢٠٠٥.

-البرغوثى، مريد، رأيت رام الله، المركز الثقافى العربى،الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠١١.

- بوقرن، عبد الله، الأخر في جدلية التاريخ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة، تخصص فلسفة: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة ٢٠٠٦ -٢٠٠٧.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢.

-الجوهري، الصحاح ، ت أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت، ١٩٩٠.

-حمداوى،جميل، صور جدلية الأنا و الآخرفى الخطاب الروائى العربى:موقع الالكترونى)، مجلة المثقف، العدد ١٤٤٠، ٢٠١٠.موقع الكترونى:
http://www.almothaqaf.com/qadaya٠١-٠٣-٠٢-٢٧-٠٦-٢٠١٠-١٥٨٠٣/٢٠٠٩

-زكى العلية، صورة الذات و صورة الآخر فى الرواية الفلسطينية فى الأرض المحتلة، ط١، فلسطين، دار الماجد لطباعة و النشر، ٢٠٠٧.

-شاور، رشاد، المفارقات المدهشة فى الحياة اليومة الفلسطينية، جريدة الأيام، ٢٠٠٥/٣/١.

-عالية رزوقى، صورة الآخر فى الرواية الجزايرية، من سنة ١٩٥٠ الى سنة ٢٠١٠، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، الجزائر، جامعة الشلف، ٢٠١٧.

-عبدالله كاظم، نجم، نحن و الآخر فى الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط١، ٢٠١٣.

-غسان السيد، صورة الغرب فى الأدب العربى-رواية فياض لخيرى الذهبى نموذجا، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٤، العد الثالث و الرابع، ٢٠٠٨.

-القرطاجني، مناج البلغاء، ت محمد حبيب بن الخوجة ،دار المغرب العربي ، ط٢، بيروت، ١٩٨١ .

- قحطان، محمود، رأيت رام الله:ملحمة الغربة والاغتراب، ٢٠١٤.موقع الكاتب: https://mahmoudqahtan.com

-نجم، سيد، ملامح أدب المقاومة فى روايات نجيب محفوظ.مجلة ضاد،العدد رقم ٥، مصر، ١نوفمبر ٢٠٠٦.موقع الكترونى:

http://archive.sakhrit.co/newPreview.aspx?PID=٣٠٦٣٤١٨&ISSUEID=١٨٤١٧&AID=٤١٥٧٧٨

- ياسين سليماني، أحمد ، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ط١، دمشق، سوريا، ٢٠٠٩.

- يوسف الحداد، عباس ، الأنا في الشعر الصوتي (ابن القارض أنموذجا)، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط٢، سوريا ٢٠٠٩.

-staszak, J.(2008).Other/ otherness. Retrieved from: http://www.unige.ch/ses/geo/collaborateurs/publicationsJFS/OtherOtherness.

قائمة الهوامش:

[١](جميل حمداوى، ٢٠١٠: ١).

[٢](نجم عبدالله كاظم،٢٠١٣: ٥٢)

[٣](جميل حمداورى، نفس المصدر: ١)

[٤]**(نفس المصدر:٢)**

[٥](عالية رزوقى، ٢٠١٧: ٤٧)

[٦](نجم عبدالله كاظم،٢٠١٣: ٥٢)

[٧](جميل حمداوى، المرجع السابق: ٢)

[٨](نفس المصدر

[٩](غسان السيد،٢٠٠٨: ٩٢)

([١٠]أنظر: نفس المصدر: ٩٣).

[١١](مريد البرغوثى، ٢٠١١: ٧٨)

[١٢](نفس المصدر: ٥-٦).

[١٣]**(نفس المصدر:٧)**

[١٤](نفس المصدر:١٦٤).

[١٥](يوسف الحداد، ٢٠٠٩: ١٨٧

[١٦](أحمد ياسين سليمانى، ٢٠٠٩: ١٩٢

[١٧](جميل صليبا، ١٩٨٢: ١٤٠

[١٨](المرجع نفسه ، ص١٤٠).

[١٩] (المرجع نفسه ، ص١٤١

[٢٠](بوقرن ، ٢٠٠٦: ١

[٢١] . (Staszak, 2008, p 1-2)

([٢٢]مريد البرغوثى،٢٠١١: ١٤٦).

[٢٣](محمود قحطان، ٢٠١٤: ٢

[٢٤] (الجوهرى،١٩٩٠: مادة غرب

[٢٥](ابن منظور، ٢٠٠٥: مادة غرب)

[٢٦](القرطاجنى، ١٩٨١: ٢١)

[٢٧](نفس المصدر:٧)

[٢٨](نفس المصدر: ٨).

[٢٩](نفس المصدر: ٨).

[٣٠] (نفس المصدر:٨٠).

[٣١](نفس المصدر: ١١٠)

[٣٢](نفس المصدر:١٥٧).

[٣٣](سيد نجم، ٢٠٠٦: ٨٦).

[٣٤](محمود قحطان، ٢٠١٤: ٢).

([٣٥]مريد البرغوثى،٢٠١١: ٥٨)

[٣٦] (مريد البرغوثى،٢٠١١: ١٢٣).

[٣٧] (نفس المصدر: ٩٦)

[٣٨](نفس المصدر: ٧١)

[٣٩](نفس المصدر: ٧٢)

[٤٠].(نفس المصدر:٧٣).

[٤١](نفس المصدر:١٦٩).

[٤٢](نفس المصدر:١٢٦).

[٤٣](نفس المصدر:١٤١).

[٤٤](نفس المصدر: ١٦٩).

[٤٥](نفس المصدر: ١٨٧).

[٤٦] (نفس المصدر: ١٤٤).

[٤٧](نفس المصدر:٥٠).

[٤٨](نفس المصدر:٥١)

[٤٩].(نفس المصدر: ٥١).
[٥٠](نفس المصدر: ١٤٢).
[٥١](نفس المصدر:١٤٢)
[٥٢](نفس المصدر: ١٤٣).
[٥٣](نفس المصدر: ١٣٧).
[٥٤](نفس المصدر:٩٢).
[٥٥](نفس المصدر: ١٦٩)
[٥٦] (نفس المصدر:١٧٢)
[٥٧](نفس المصدر:١٤٤)
[٥٨](نفس المصدر: ١٧).
[٥٩](نفس المصدر: ١٤٠).
[٦٠](نفس المصدر: ١٤١).
[٦١](نفس المصدر:١٨١).
[٦٢](نفس المصدر:١٨٧).
[٦٣](رشاد شاور، ٢٠٠٥: ١)
[٦٤](نفس المصدر:١٤٢).
[٦٥](نفس المصدر:٢٠٦)
[٦٦](نفس المصدر: ٢٠٧).
[٦٧](نفس المصدر:٢٠٩).
[٦٨](نفس المصدر: ص١٧- ١٨-٢٠- ٢٢-٣٥و...)
[٦٩](زكى العلية، ٢٠٠٧: ٦٣).
[٧٠](مريد البرغوثى، ٢٠١١: ١٧)
[٧١](نفس المصدر:٢٠).
[٧٢](نفس المصدر: ١٩).
[٧٣] (نفس المصدر:٣٦).
[٧٤](نفس المصدر:١٠)
[٧٥](نفس المصدر:٢٨)
[٧٦](نفس المصدر:٥٩)
[٧٧](نفس المصدر:٣٩)
[٧٨](نفس المصدر:٤٨)
[٧٩](نفس المصدر:٧٠).
[٨٠](نفس المصدر:٥٩).
[٨١](نفس المصدر:٣٧).
[٨٢](نفس المصدر: ٧٤).

[٨٣](نفس المصدر: ٧٤)
[٨٤](نفس المصدر:٣٤).
[٨٥](نفس المصدر:٩)
[٨٦](نفس المصدر: ١٦٧)
[٨٧](نفس المصدر:١٨٦)
[٨٨] (نفس المصدر: ١٨٦)
[٨٩](نفس المصدر:١٨٦)
[٩٠](نفس المصدر:١٨٧).
[٩١](نفس المصدر:١٨٧).
[٩٢](نفس المصدر:٢١٤).
[٩٣](نفس المصدر:٢١٥).
[٩٤](نفس المصدر:٢١٥).

The Conflict between Self and the Other in Mourid Barghouti's "Ra'yat Ram Allah"

Dr. Seyede Akram Rakhshandehnia
(Assistant Professor in Guilan University/ Iran)

Mourid Barghouti is among the Palestinian novelists who have lived outside Palestine and have been deprived of returning to their country for around thirty years. In his novel "Ra'yat Ram Allah" that is considered his biography he pictures Palestinian self in conflict with the Israeli other. Each of them, self and the other, include features and characteristics related to their own.

This novel considers Palestinian self (I) as one of the involved parties and the Israeli other that deals with occupation and violence against Palestinian self. Considering the presence of conflict between self and the other, the Palestinian self is about to know the other and reveal his features and identity.

Consequently, this research is about to study the images of Palestinian and Israeli in the light of self and the other conflict by using descriptive-analytic approach. Among the results of this research is that the writer has dealt with Palestinian self more than the other and portraits the Palestinian self's raison d'être, be it positive or negative. And when referring to the Palestinian other he refers to occupation and colonialism characteristics more than anything.

Keywords: Self, Other, Palestinian, Israeli, Mourid Barghouti, Ra'yat Ram Allah